**جامعة أبي بكر بلقايد**

**قسم التاريخ مقياس : علم المخطوط العربي**

**أ/ فطيمة.مطهري المستوى: ماستر 1 وسيط**

**المحور الثاني: تاريخ الخط العربي.**

**مدخل:**

يعتبر اختراع الكتابة أعظم اختراع في تاريخ البشرية؛ فالتأريخ يبدأ بالكتابة بالإضافة إلى أنّ اختراع الكتابة هيّأ للإنسان إمكانية تسجيل المعرفة والأفكار؛ وبالتالي نقلها إلى الأجيال القادمة، ولهذا فإنّ تراث البشرية العظيم في العلوم والآداب والفنون لم يكن من الممكن أن يصلنا لولا الكتابة، وقد مرّ اختراع الكتابة بثلاثة مراحل رئيسية تمثلت في: الكتابة التصويرية والكتابة الرمزية والكتابة الأبجدية؛ والتي يرجع الفضل في اختراعها إلى الفينيقيين منذ أكثر من ألف عام قبل الميلاد، وقد انتقلت الكتابة الأبجدية إل بقية أصقاع العالم ومنها تطورت الكتابات اليونانية والرومانية وغيرها من الكتابات العالمية المتنوعة.

فالكتابة هي دعامة الحضارات القديمة والحديثة على اختلاف عصورها وشعوبها وبلدانها؛ فهي التي حفظت لنا علوم القرون والعهود السابقة ومهدت للمتأخرين سبيل التبسيط فيما اتصل إليهم من معارف الأولين، والكتابة وسيلة إثبات كونها أقوى طرق الإثبات تصلح لإثبات جميع الوقائع؛ سواء كانت تصرفات قانونية أو وقائع مادية، والكتابة لها قوة مطلقة في الإثبات فلا يجوز لإثبات عكسها إلا بكتابة أخرى مثلها.

وتعدّ الكتابات العربية أحد الروافد الأساسية للفنّ الإسلامي؛ فهي مظهر من المظاهر الفنية والحضارية التي عرفتها الأمة العربية والإسلامية، وذلك لما تحمله من ملامح فنية تتمثل في أسلوب الخطّ وأنماطه المتعدّدة، وفي أبعاده الزخرفية والتقنية، وفي ملامحه التاريخية والحضارية؛ والتي تبرز تجليّاتها بصفة خاصة في مضامينها ومحتوياتها الثرية بشتى ضروب المعلومات أهمها التواريخ الثابتة وأسماء الأعلام لحكام وصناع وحرفيين، وأماكن جغرافية، وبلدن ومدن، وأحداث ووظائف وغيرها من المعالم والأوصاف؛ إضافة إلى الأبعاد الاجتماعية والثقافية والحضارية؛ فهو فعلا فن وعلم عربي أصيل.

فما مفهوم الخط؟ وما هي قواعده وسماته؟ وما هي جدوره ومراحل تطوره؟.

**أوّلا- تعريف الخطّ:**

**1- تعريفه لغويا:** جاء في معاجم اللغة العربية: " الخط هو الكتابة والتحرير والرقم والسطر والزبر بمعنى واحد[[1]](#footnote-2)أي نقل الفكرة من عالم العقل وترجمتها إلى عالم مادي على ورق، أو لوح، أو حجر أو على أي شيء آخر بواسطة قلم خوفا من نسيانها، وذلك برسم أشكال من الحروف متعارف عليها[[2]](#footnote-3)، كماعرفه إقليدس بقوله:" الخط هندسة روحانية ظهرت بآلة جسمانية"[[3]](#footnote-4).

وقد ورد تعريف الخط في جمع الجوامع، أن الخط:" هو تصوير اللفظ برسم حروف هجائه"، وخطّ يخطّ خطّا أي كتب أو صور اللفظ بالحروف الهجائية[[4]](#footnote-5)، وقد يطلق الخط على علم الرمل[[5]](#footnote-6)، والخط حسب ابن منظور:" الطريقة المستطيلة في الشيء، والجمع خطوط... والخطّ: الطريق، يقال: الزم ذلك الخطّ ولا تظلم عنه شيئا؛... وخطّ القلم أي كتب. وخطّ الشيء يخطّه خطّا: كتبه بقلمه أو غيره...والخطّ: الكتابة ونحوها مما يخطّ"[[6]](#footnote-7)، والخط لا يكون إلا بالقلم، وسمي الخط كتابة لجمع الحروف بعضها إلى بعض[[7]](#footnote-8).

وعرفه ابن خلدون بقوله:" وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس. فهو ثاني رتبة عن الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة...تكون جودةالخط في المدينة إذ هو من جملة الصنائع...ونجد تعليم الخط في المصار الخارج عمرانها عن الحدّ أبلغ وأحسن واسهل طريقا لاستحكام الصنعة فيها..."[[8]](#footnote-9).

أما القلقشندي فعرفه بقوله:" أنّ الخطّ هو ما تتعرف منه صور الحروف المفردة، وأوضاعها، وكيفية تركيبها خطّا"، وجعلها بعد مرتبة الخلافة، لأن بها تستقيم أمور السياسة والحكم[[9]](#footnote-10).

**2- تعريفهاصطلاحا:**

حسب عبد معزوز فإنه رغم التعاريف العديدة التي عرف بها الخط؛ فإنها لا تمنح للقارئ تعريفا ومحددا لمعنى الخط. أكان الخط علما كغيره من العلوم الأخرى له قواعد وضوابط علمية يستند إليها لنقول أنه علم؟ أم هو مجرد فن من الفنون الدنيوية الكثيرة كالرسم والنحت وغيرهما؟وقد عرّفه بكليهما:

**\* الخطّ علم**: لأنه تمت هندسته منذ القدم، ويعتمد على أصول ثابتة وقواعد دقيقة مستندة على موازين وضعها الأقدمون. وفي ذلك ألفت كتب ومؤلفات عديدة للتعريف بقواعده للمتعلمين، ولا يجيد هذا العلم أحد إلا إذا درس قواعده وموازينه. لذلك أدخل كمادة تعليمية في المدارس[[10]](#footnote-11)، وهذا ما يؤكّده ابن خلدون بقوله"... يحكى لنا عن مصر...أنّ بها معلّمين منتصبين لتعليم الخطّ يلقون على المتعلّم قوانين وأحكاما في وضع كلّ حرف، ويزيدون إلى ذلك المباشرة بتعليم وضعه، فتعتضد لديه رتبة العلم والحسّ في التعليم..."[[11]](#footnote-12).

**\* الخطّ فنّ**: لأنّ قاعدته ومحوره هو الجمال في التعبير الذي يتوخى الوصول إليه الخطاطون لبعث المتعة في نفوس المشاهدين، كما يعتمد الخطّ على استعدادات ومهارات فنية تكسب بالممارسة والمران؛ بالاعتماد على دقة الملاحظة، وقوة الانتباه والقدرة على المحاكاة، فتتشكل للمتعلم خبرات ومهارات تجعل منه فنانا بارعا يجيد كتابة ضروب عديدة من الخطوط، وهذا الذي نستشفه من قول ابن خلدون:" ...وليس الشأن في تعليم الخط ...في تعلّم كل حرف بانفراده، على قوانين يلقيها المعلّم على المتعلّم، وإنما يتعلم بمحاكاة الخطّ ...إلى أن يحصل له الإجادة ويتمكن في بنانه الملكة؛ فيسمّى مجيدا."[[12]](#footnote-13).

والخط والكتابة صناعة روحانية تظهر بآلة جثمانية، دالة على المراد...الروحانية هي اللفاظ التي يتخيلها الكاتب في خياله ويصور من ضم بعضها إلى بعض صورة باطنة قائمة في نفسه، والجثمانية بالخط الذي يخطه القلم وتقيد به تلك الصورة وتصير بعد أن كانت صورة معقولة باطنة صورة محسوسة ظاهرة[[13]](#footnote-14).

**ثانيا- تاريخ وجذور الخطّ العربي:**

اشتقّ الخط العربي من الخط النبطي في القرن الثالث قبل الميلاد خارج شبه الجزيرة العربية، ومن المعروف أن الأنباط عرب من قريش ارتحلوا إلى الشمال وكونوا دولتهم في القرن الثاني قبل الميلاد؛ واستمرت حتى دمرها الرومان في نهاية القرن 1م وبداية 2 م، وكانت دولتهم مزدهرة عاصمتها البتراء، اشتقوا خطا لهم يسجلون به حضارتهم عرف بالخط النبطي نسبة إليهم؛ وقد اشتقوه من الخط الآرامي، تفرع منه خطا آخر في بلاد الشام والذي انتقل بدوره إلى الحجاز، وكتب به الحجازيون فسمي بالخط العربي، وقبل البعثة المحمدية كان هناك في مكة ويثرب من يكتب ويقرأ بالخط العربي، وعندما بعث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم استخدم بعض هؤلاء الكتاب في تسجيل القرآن الكريم وهم من عرفوا باسم كتّاب الوحي[[14]](#footnote-15).

لقد أخذ العرب الخط عن الأنباط بنفس الحال التي كان عليها ذلك الخط: اثنان وعشرون قالبا لثمان وعشرين صوتا بدون نقط أو تشكيل وبنفس الترتيب الأبجدي( أبجد، هوز، حطي...)، وبعد انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية، ودخول الموالي في الإسلام على نطاق واسع في القرن 1ه/7م، ولتجنب الخطأ في قراءة القرآن الكريم؛ كان لا بد من إدخال بعض التعديلات على الأبجدية؛ ومن تمّ جاء الإصلاح الأول للكتابة العربية وهو ما عرف بالتشكيل، أي وضع حركات النطق: وضع علامات على الحروف الأخيرة من الكلمات لتنطق" نحوا" نطقا صحيحا[[15]](#footnote-16).

ويذكر ابن خلدون: " أن الخط العربي كان بالغا مبالغة من الإحكام والإتقان والجودة في دولة التبابعة، لما بلغت من الحضارة والترف، وهو المسمى بالخط الحميري، وانتقل منها إلى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر...ومن الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش فيما ذكر. ويقال: إنّ الذي تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن أميّة ويقال: حرب بن أميّة، وأخذها من أسلم بن سدرة. وهو قول ممكن... وكان لحمير كتابة تسمى: المسند حروفها منفصلة...ومن حمير تعلمت مضر الكتابة العربية..."[[16]](#footnote-17).

وقد اختلف الناس في اول من وضع الخط العربي؛ فقال هشام الكلبي: "[[17]](#footnote-18)أول من صنع ذلك قوم من العرب العاربة نزلوا في عدنان بن أد وأسماؤهم: أبو جاد، هواز، كلمون، صعفص، قريسات"، لكن ابن خلدون يرى أن:" الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية...والكمال في الصنائع إضافي، وليس بكمال مطلق؛ إذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ولا في الخلال، وإنما يعود على أسباب المعاش، وبحسب العمران والتعاون عليه لأجل دلالته على ما في النفوس...لما جاء الملك للعرب، وفتحوا الأمصار، وملكوا الممالك، ونزلوا البصرة والكوفة، واحتاجت الدولة إلى الكتابة، استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلموه وتداولوه؛ فترقّت الإجادة فيه، واستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الإتقان...والخط الكوفي معروف الرسم إلى هذا العهد.ثم انتشر العرب في الأقطار والممالك، وافتتحوا إفريقية والأندلس، واختطّ بنو العباس بغداد وترقّت الخطوط فها إلى الغاية..."[[18]](#footnote-19).

ومما لا شك فيه وحسب ابن خلدون أنّ الخط العربي جاء وتطور نتيجة احتياجات المجتمع الإسلامي؛ فلما توسع الإسلام في بقاع الأقطار العربية والإسلامية، انتشر معه الخط العربين وقد تطور نتيجة تطور العلوم والمعارف خصوصا في الفترات التي زاد فيها الاهتمام بالكتاب، وبالضبط في فترة العصر الذهبي للحكم العباسي؛ أين زادت حوانيت الوراقة، والأسواق الخاصة بالوراقين، وارتفع عدد النساخ، وأصبحت الوراقة مرادفة" لمصطلح الناشر في عصرنا الحالي"[[19]](#footnote-20).

لقد كان للإسلام فضل كبير على هذا الخط وعلى اللغة العربية؛ فقد حملها حيث ذهب ومن ناحية أخرى، حفظ الخط العربي اللغة والقرآن إذ سجلا به وتمّ تداولهما عن طريقه.

**ثالثا- أنواع وسيمات الخطّ العربي:**

تفرعت الكتابة العربية إلى العديد من الخطوط؛ لكل منها خصائص واستخدامات معينة، وقد حصر ابن النديم في الفهرست نحو: مائة خط أو قلم؛ ولعل أشهر خطين في الكتابة العربية في ذلك الوقت هما: **الخط النسخي** الذي كان يستخدم في نسخ الكتب، وسمي كذلك لأنه استخدم في نسخ القرآن الكريم وكتابة المصاحف الشريفة، وهذا الخط هو الآن الخط الرسمي في الكتابات العربية[[20]](#footnote-21)، أما الخط الثاني فهو: الخط الكوفي الذي كان يستخدم في الكتابة على المباني وشواهد القبور، وهو خط مضلع يميل إلى التربيع والزوايا، وقد تفرع منه خطوط أخرى منها: **الخط الكوفي**المزهر، والخط الكوفي المورق، والخط الكوفي الهندسي[[21]](#footnote-22)، ومن الخطوط الأخرىنجد: خط الرقعة، والخط الجليل، وخط الثلث، والثلثين، والخط الديواني والخط المغربي( سنتناوله بالدراسة في المحور الثالث)، والخط الأندلسي، والخط القيرواني...

اتخذ الخط العربي وخاصة الكوفي عنصرا من عناصر الزخرفة والتجميل، وبرزت مدارس خطية عربية كثيرة، وبرز خطاطون عظماء منهم: ابن مقلة وابن البواب وغيرهما، ويقول ابن خلدون في هذا الصدد:" وخالفت أوضاع الخط ببغداد أوضاعه بالكوفة، في الميل إلى إجادة وجمال الرونق وحسن الرواء، واستحكمت هذه المخالفة في المصار إلى أن رفع رايتها ببغداد عليّ بن مقلة الوزير، ثم تلاه في ذلك علي بن هلال، الكاتب الشهير: بابن البواب، ووقف سند تعليمها عليه في المائة الثالثة وما بعدها...حتى انتهت إلى المتأخرين مثل الياقوت والوليّ عليّ العجمي، ووقف سند تعليم الخط عليهم، وانتقل ذلك إلى مصر...ولقنها العجم هنالك...وانتسخت الكتب وأجيد كتبها وتجليدها..."[[22]](#footnote-23).

1. -كامل سلمان الجبوري: أصول الخط العربي، دار ومكتبة الهلال ، بيروت، 2000م، ص09. [↑](#footnote-ref-2)
2. - عبد الحق معزوز: خطوط الكتابات العربية في الجزائر، المجلة المغاربية للمخطوطات، العدد3، 2013، ص109. [↑](#footnote-ref-3)
3. - نفسه، نفسها. [↑](#footnote-ref-4)
4. - السيد السيد نشار، في المخطوطات العربية، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، 1997، ص05. [↑](#footnote-ref-5)
5. - محمد طاهر بن عبد القادر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، مكتبة الهلال، 1939.ص07. [↑](#footnote-ref-6)
6. - ابن منظور، لسان العرب، ص1602؛ عن:العربي بن حجار ميلود، خالدة هناء سيدهم، أهمية تدريس علم الخط العربي في تخصص علم المكتبات والعلوم الوثائقية بين التكوين العلمي والواقع العملي، مجلة عصور، العدد22-23، جويلية- ديسمبر2014، وهران، ص418. [↑](#footnote-ref-7)
7. - المرجع نفسه، نفسها. [↑](#footnote-ref-8)
8. - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص422. [↑](#footnote-ref-9)
9. - القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشاء، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1963، ج1، ص ص 51- 54. [↑](#footnote-ref-10)
10. - عبد الحق معزوز، المرجع السابق، ص110. [↑](#footnote-ref-11)
11. - عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص422. [↑](#footnote-ref-12)
12. - المصدر نفسه، ص 422. [↑](#footnote-ref-13)
13. - العربي بن حجار....، المرجع السابق، ص418. [↑](#footnote-ref-14)
14. - شغبان عبد العزيز خليفة، الببليوغرافيا أو علم الكتاب، دراسة في أصول النظرية الببليوغرافية وتطبيقاتها النظرية الخاصة، الببليوغرافيا التاريخية\* الببليوغرافيا التحليلية، الدار المصرية-اللبنانية، القاهرة، شوال 1417ه/ فبراير1997م، ص113-114. [↑](#footnote-ref-15)
15. - المرجع نفسه، ص114. [↑](#footnote-ref-16)
16. - ابن خلدون، ص ص422- 424. [↑](#footnote-ref-17)
17. - العربي بن حجار...، المرجع السابق، ص419. [↑](#footnote-ref-18)
18. - ابن خلدون،المصدرالسابق، ص424-425. [↑](#footnote-ref-19)
19. - العربي بن حجار...، ص419. [↑](#footnote-ref-20)
20. - شعبان عبد العزيز خليفة، المرجع السابق، ص114. [↑](#footnote-ref-21)
21. - نفسه، ص115. [↑](#footnote-ref-22)
22. - ابن خلدون، ص425. [↑](#footnote-ref-23)